فى ألمانيا المحتلة

فى المنطقة الامريكية

أوقف صديق (ص . ز .) سيارته التى كان يقودها بسرعة تتراوح بين ٩٠ و ١٠٠ كيلو متر فى الساعة . أوقفها بسرعة فسألته عما حدث فقال :

ـــ رأيت ضابطا امريكيا يشير الينا، وأستحسن أن نلتقطه فقد يسهل لنا رحلتنا بوجوده بيننا .

والتقطنا الضابط الأمريكى ! وكان طبيعيا أن نتحدث ، وان يكون الحديث عن المانيا بالذات . وكان هو الذى بدأه إذ قال :

ـــ هل زرتم مناطق الاحتلال التابعة للدول الأخرى فى المانيا ؟

فلما قلنا اننا لم نزر غير الأمريكية أجاب :

ـــ بل كان يجب أن تزوروها حتى تحكموا . وتقارنوا بين الحالة فى المنطقة الامريكية وغيرها ! ان الالمان انفسهم فى منطقتنا سعداء لوجودنا بينهم !

وابتسم صديق (ص) وقال :

ـــ لا أظن ان هناك شعبا واحدا فى العالم يسعده وجود جيش احتلال فى بلده .. وخاصة إذا كان هذا الشعب هو الشعب الالمانى !

قال : بل انى أؤكد ان الالمان وإن احسوا نحونا بالكراهية كدولة محتلة لبلادهم فانهم يحبوننا كأفراد ، وخاصة بعد سماعهم بما يحدث لمواطنيهم فى مناطق الاحتلال الاخرى وخاصة فى المنطقة الروسية وفى المنطقة الفرنسية .

قلنا : ولم لم تذكر المنطقة الانجليزية ؟

قال : ان الانجليز فى الواقع يعاملون الالمان معاملة تفسد علينا سياستنا العامة وأهدافنا ويظهر انهم يرمون من ذلك الى تحقيق أغراض خاصة ستظهر فى المستقبل كما أنهم لا يمكن ان ينسوا الصلات الجنسية القديمة التى تربطهم بالالمان . أما نحن ـ الامريكيون ـ فاننا قد دخلنا المانيا لا لنحتلها أو لنستغلها كما فعل غيرنا فى المناطق الاخرى وإنما لكى نؤدبها ونعلمها فقط ! !

وضحكنا لأن الضابط كان يتكلم بلهجة جدية وقلنا له :

ـــ ولكن ليس من السهل على شعب كالشعب الالمانى ان يحب مؤديه ويميل اليهم.

وقال الضابط : بل ان من واجبه ان يحب الامريكيين وان يعترف بفضلهم . . فلولا اننا أسرعنا بالمجيء الى هنا واحتلال هـــذه المنطقة لسبقنا الروس اليها ، وافترسوهم ! !

ولم يشرح لنا الضابط الامريكى كيف يمكن للروس أن يفترسوا شعبا من الشعوب أو فردا من الأفراد . ولكننا وجدنا ان الحديث قد وصل الى نقطة تحول خطيرة ونحن فى منطقة احتلال عسكرية امريكية، فتبادلت وصديق (ص) نظرة ذات معنى ولم نعلق على ما قال الضابط فساد بيننا الصمت فترة والسيارة تنهب الأرض نهبا !

بين خرائب ميونيخ

ميونيخ مدينة البيرة الشهيرة ، تغنى بها الشعراء والكتاب ، وفى حاناتها رسمت أروع الصور ولكنها تعيش الآن فى ظلام الألم والحرمان. والى جوارها، فى سهول وعلى قمم جبالها مئات المدن الأخرى التى اشتهرت مثلها بالفنون والصناعات يخيم عليها المانيا البؤس وتسرح فى دروبها الفتيات الجميلات يبحثن فى القمامة وبقايا الأطعمة عن فتات يحفظن بها حياتهن . كل شيء فى المانيا دمار وخراب . وكل أمل أسود قاتم . وكل وجه حزين ضامر . لا موسيقى ولا رقص . لا خمر ولا غناء وانما دموع وبؤس وشقاء ! ! .

ولكن الصمت لم يطل ونحن نجد انفسنا بين خرائب وأنقاض . فقال صديق ساخرا :

ـــ لقد كانت هنا فى يوم من الايام مدينة اسمها ميونيخ ! لقد صارت اليوم ثرا رائعا من آثار الحضارة الأوربية والمدنية المسيحية ! ؟ اليس كذلك ؟

وأحس الضابط من جديد بأن الحديث موجه اليه فأجاب :

ـــ لقد كنا نبحث هنا عن محطة الاذاعة الالمانية ، هذه المحطة التى كانت تحرض

الالمان على الحرب وتحثهم على الاستمرار فيها فاذا كانت المدينة بأكملها قد هدمت فالذنب ليس ذنبنا !

وقلنا : نعم بالتأكيد ... انه ذنب محطة الاذاعة !

وضحك الضابط الامريكى وقال : ونحن الى اليوم ، وقد انقضت مدة طويلة على احتلالنا للبلاد ، لم نعثر لهذه المحطة على اثر !

وسألناه : وما هو ، فى رأيك ، الزمن الكافى لاعادة بناء المانيا أو ـ على الأقل ـ مدينة كهذه ؟

فأجاب : مائة سنة . . على الأقل !

هتلر . . . !

ان الضابط الامريكى نفسه يقص علينا امرا غريبا فهو يقول انه كلف من ايام بمهمة رسمية هى البحث والتنقيب فى منزل ايفا براون ، عشيقة هتلر أو زوجته فى نهاية الأمر . . وقد رفض أن يدلى بأكثر من هذا ولكننا سألناه عما إذا كان يعتقد إذا كان هتلر لا يزال حيا يرزق . .

وأجاب الرجل وعلى وجهه سيماء الجد ـ لعظيم دهشتنا :

ـ نعم ! أنا أعتقد انه لا يزال حيا . . وقد اختفى فى مكان ما لا يبعد ان يكون المانيا نفسها : وهو لا يفكر اليوم إلا فى الانتقام ، ولكن هيهات أن تسنح له الفرصة الانتقام فان بلاده لا يمكن أن ترفع رأسها قبل مائة سنة !

ولكن ما لنا ولهذا الآن . . . ما دمنا سنفرد بابا خاصا للحديث عن هتلر وما سمعناه عنه ! ؟

حرب جديدة

قلنا : مائة سنة طبعا اذا استمرت الأحوال والظروف كما هى اليوم ولكن اليس من الممكن ان تتغير هذه الظروف ؟

وابتسمنا ! وفهم هو ما نقصد فقال :

ـــ انكما تقصدان طبعا قيام حرب جديدة بين امريكا وروسيا او بين انجلترا وروسيا اليس كذلك ؟ وبعد ! فانى طبعا لا يدهشنى قيام مثل هذه الحرب وسيكون المسئول عن قيامها روسيا نفسها كما اننا لا نخشى روسيا لأن لدينا القنبلة الذرية !

ورأينا ان الحديث قد تطور وابتعد عن موضوع المانيا الذى يهمنا أكثر من غيرة فقلت له :

ـــ ألا تجد ان حربا كهذه قد يكون فيها نجاة المانيا قبل المائة عام !

فأجاب : نعم ! هذا جائز . ولكن الى أى فريق تعتقد ان الالمان ينضمون ؟

قلت : لا أعرف بالضبط ! ولكن كل ماسمعته هو ان الروس فى منطقة احتلالهم قد سلحوا الالمان وكونوا منهم جيشا مستعدا للحرب إلى جانبهم ضد اعداء الروس!

وابتسم الضابط ثم قال :

ـــ قد يكون ما سمعت صحيحا وأنا ابادر الى أخبارك ان المحتلين من غير الروس فعلوا أيضا كما فعل الروس . . . وبعضهم قد سلح الالمان ودرب جيوشا المانية هى اليوم على استعداد للحرب الى جانبهم ضد الروس !

* * *

وكان هذا نهاية الحديث لأن الضابط أمسك بحقيبته وغادرنا بعد أن ودعنا وداعا حارا وأمر بتزويدنا بما نحتاج اليه من بنزين !

فى المنطقة البريطانية

على باب فندق «بوب» فى كارلوفيفارى أو كارلسباد، مدينة المياه المعدنية قابلتهن.

كن ثلاث سيدات انجليزيات صغيرات السن ، وكنت قد قابلتهن فى مرقص الفندق فى الليلة السابقة ، واجتمعت على مائدة واحدة مع احداهن كأعضاء لجنة التحكيم فى مسابقة قيادة الفرقة الموسيقية للهواة ، وأبادر فأقول أنى لم أنتخب عضواً فى هذه اللجنة بفضل أذنى أو معلوماتى الموسيقية وإنما لكى تكون اللجنة ممثلة لأكبر عدد من الدول كأنها مؤتمر الصلح !

الجوع !

قالت لى كبرى السيدات : — اننى مسرورة من الحياة فى ألمانيا. فكل شىء هناك على مايرام وبمنزلنا حديقة يعنى زوجى بزراعتها وهى تجود علينا بكل أنواع الثمار .

ليس هناك مجاعة ولا جوع فى ألمانيا . . ان الألمان يأكلون أحسن مما يأكل الانجليز فى انجلترا . . ويكفى أن تعرف أنك لا ترى اليوم ألمانيا الا وهو يجر وراءه كلبه الكبير وهذه الكلاب التى تتبعهم — وهى من نوع كلاب الرعاة — تحتاج إلى طعام . . بل انها تحتاج الى طعام كثير . . فمن أين يقدمون لها الطعام إذا لم يجدوا الطعام أولا لأنفسهم ؟

الحالة المعنوية

وسألتها عن حالة الألمان المعنوية فذكرت لى أنه لما وصلت زوجات الانجليز إلى ألمانيا لأول مرة دعين إلى الاستماع لسلسلة من المحاضرات القاها عليهن الأمريكيون فى كيفية معاملة الألمان أو التعامل معهم .

وقالت : « ولقد حذرنا الضابط المحاضر فى أول محاضرة وقال لنا أن الألمان سيحاولون اكتساب عطفنا بكافة الوسائل ، وهذه هى خطتهم الموضوعة ، مع أنهم لا يستحقون هذا العطف . . وأعاد المحاضر تحذيره حتى لا تخدع بما يبديه الألمان من مظاهر الجوع والذل » والمسكنة »

والانجليزى طيب القلب بطبعه (كذا قالت محدثتى ! !) ولذلك فقد خدع رغم هذا التحذير . . !

وبدأنا نتأثر بما نشاهد حولنا من مظاهر الفاقة والبؤس والعناء . فأخذنا نصادق الألمان ونمد لهم أيدينا بقصد معاونتهم على احتمال أعباء الحياة التى أوصلهم اليها حمق ساستهم .

ودعا الكثيرون منا الأسر الألمانية إلى منازلهم وأكرموا وفادتها فهل تعرف ماذا كانت النتيجة ؟

ان الألمان لم يدخلوا بيتا من بيوت الانجليز الذين يعيشون فى بلادهم الا وسرقوا أثمن ما فيه ! ! ولذلك اضطررنا فى نهاية الأمر إلى أن نغلق الأبواب فى وجوههم وعرفنا أن نصائح الامريكيين كانت فى محلها وأنه من الخطأ أن نخدع بمظهر «الضحية البريئة» الذى يحاول الألمان الظهور به . .

وهنا قاطعت محدثتى قائلا : — ولكن اسمحى لى ياسيدتى أن أسألك عن تعليلك لهذه السرقة . ألا يجوز أن يكون الباعث عليها حالة الفقر والحرمان التى يعانيها الألمان فى هذه الأوقات ؟

أجابت : — لا أظن ! بل اننى اكاد اجزم أنهم يسرقون كل ما تصل اليه ايديهم من منازلنا بدافع الحقد والرغبة فى الانتقام منا بوسيلة من الوسائل !

انتقام مبتكر . . !

وحدثنى ضابط بريطانى برتبة كبيرة عن طريقة جديدة عمد اليها الألمان فى المدة الأخيرة للانتقام من المحتلين . . . ذلك أن الحكومة البريطانية لما رفعت الضريبة المقررة على الوارد من التبغ ، كان من نتيجة ذلك ان اصبحت السجاير الانجليزية شحيحة فى السوق ،

ولما كان الجندى الانجليزى العادى - يميل إلى كثرة التدخين . . . فقد اضطر الى البحث عن السجاير فى السوق السوداء بالمانيا . . ولذلك يحدث ما يأتى بالضبط : عندما يتسلم الجندى البريطانى مقرراته يبادر الى بيع ما يحمله من (الشكولاته)

فيشتريه منه الالمان الذين يحبون هذا النوع من الحلوى حبا جما . . ولكن لاتكاد تمضى بضعة ايام حتى يسترد الألمانى من الانجليزى ضعف النقود التى دفعهـــا له ثمنا للشيكولاته وذلك عند ما يبدأ الجندى البريطانى فى البحث عن سجائر فى السوق السوداء فلايجدها الا عند التجار الألمان الذين يتعاملون فى هذه السوق ! !

وقال الضابط الكبير : . . . وعند ما بدأنا حملتنا على السوق السوداء فى المانيا فى الشهور الأولى من الاحتلال كان معظم الذين نقبض عليهم من المتعاملين فى هـذه السوق من الألمان أنفسهم . ولكننا نجد اليوم انفسنا فى مركز حرج جداً عندما نكتشف ان اكثرية الذين يبيعون ويشترون فى السوق السوداء أصبحوا من الانجليز !

* * *

وبعد ! فقد مضت أعوام ثلاثة منذ رفع الستار عن منظر جديد فى قصة الصراع بين المانيا والعالم .

مضت ثلاثة أعوام منذ زحف من تلك الأنقاض والخرائب التى ملأت وسط اوربا وقلبها آلاف بل مئات الآلاف من التعساء والأشقياء المنكوبين وانضم إليهم فى الغرب قطيع كبير من اللاجئين الذين طردوا من الشرق . .

لم يسبق لأمة من الأمم الكبيرة قط ان نكل بها مثل هذا التنكيل ولم يسبق لشعب من الشعوب ان شرب مرارة اليأس كما شربها الشعب الألمانى . فلقد شنق قادة الحرب كما يشنق المجرمون ، وفقد الألمان كل شىء اللهم إلا بصيصا ضعيفاً من الأمل يحدوهم الى الاعتقاد بأن الضريبة التى يتحملونها اليوم لأنهم عبدوا قائدهم . . هذه الضريبة قد تفتح امامهم بابا يقودهم إلى حياة جديدة . .

ان منشأ هذا الاعتقاد هو الحلفاء انفسهم فقد كرروا للالمان هذا القول فى اول الحرب وحاولوا افهامهم انهم لا يحاربوا المانيا لعداء يشعرون به نحو الشعب الالمانى ولكن لاستئصال جذور النازية فقط !

ولكن وعود الحلفاء لالمانيا كانت وعوداً كاذبة . . ولم يكد الألمان يسلمون لهم حتى عرفوا ان الويل للمهزوم . . وهم اليوم فى حيرة . . لا يعرفون إلى اين تقودهم الأقدار؟!

فى المنطقة الفرنسية

وقفنا الى جانب السيارة عند شاطىء بحيرة كونستانس ننتظر النقالة الطافية لكى تعبر بنا ، نحن والسيارة ، إلى الشاطىء الآخر فننتقل من ألمانيا التى يحتلها الفرنسيون إلى سويسرا . .

وتقدم شاب أشعث الشعر ، حافى القدمين ، ممزق الثياب ، وأخذ ينظر الى السيارة فأخرج صديق (ص) علبة سجائره وفتحها ثم قدمها إليه فنظر الشاب مذهولا إلى صديق أولا ثم إلى العلبة الثانية وكأنه لا يصدق ما يشاهد فالقوم هناك يتهافتون على العقب . . . فما بالك بالسيجارة الكاملة !

ومد يده المرتعشة المضطربة فأخذ سيجارة وضعها فى جيبه بعناية ، وحاول صديق أن يشعلها له ولكنه رفض وقال له أنه سيحتفظ بها لكى يحصل بها على قوته مدة يومين على الأقل !

ودار الحديث ـ ونحن فى انتظار النقالة ـ وبدأه الشاب بأن قال وهو يشير إلى السيارة :

ـ إنها سيارة جميلة !

وأجابه صديق : ـ لقد كنتم هنا فى ألمانيا تصنعون أجمل منها !

وهز الشاب رأسه وقال : ـ ألمانيا ؟! هل لا يزال هناك من يفكر فى ألمانيا أو فى الشعب الألمانى ؟ !

وأجابه صديق متأثراً : ـ يجب أن تعرف أن لألمانيا أصدقاء فى كل العالم . . . ولست أعرف لماذا أنت يائس إلى هذا الحد ؟

ورأينا دمعة تترقرق فى عين الشاب ثم قال :

ـ ياسيدى ! تصور أننى الوحيد الباقى على قيد الحياة من أسرتى كلها . . . ! فأى أمل لى فى الحياة !

وقلت لصديق بالانجليزية : ـ قل له إنها الحرب !

وفهم الشاب ما أقول . . فقال :

ـ نعم ! إنها الحرب ! الحرب أفقدتنى كل أفراد أسرتى ، ولكن ما ذنبى حتى أعذب الآن . . . اننا نقاسى هنا شظف العيش . . والمحتل لا يرحم . .

وسأله صديق : ـ ماذا يصنعون بكم ؟

فأجاب : ـ انهم يأخذون كل البطاطس التى تنبت هنا وهم يرسلونها إلى بلادهم فنحرم نحن من القوت الضرورى . . بل إن هذا ليس كل شىء . . . فانهم يبعثون بطوائف المرضى والأطفال والنساء الى هنا بحجة الاستشفاء فيأكلون طعامنا الضئيل

واسترسل الشاب فى حديثه فقال :

ـ عندما قهرناهم واحتللنا بلادهم عاملناهم معاملة العدو الشريف الذى غلب فى الحرب على أمره . . . فلماذا لا نعامل نحن الآن بمثل ما عاملناهم به ؟ ولكن . . .

وهز الشاب قبضة يده فى الهواء متوعداً وكأنه يقول :

« ولكن . . . سيجىء يوم ننتقم منهم ! »

* * *

وهنا كانت النقالة قد وصلت فافترقنا بعد أن صافحنا الشاب فى حزن وكمد بالغ .وساد بينى وبين (ص) صمت طويل كان مبعثه الاثر العميق الذى تركته مقابلة الشاب المسكين فى نفس كل منا .

اللغز الذى يحير أوروبا!!

إن لغز هتلر هو أعظم لغز يحير أوروبا اليوم ، ذلك لأن مصير هتلر لايزال سراً يحير العالم أجمع .. كما يحير أوروبا . . بل ألمانيا نفسها !

إن الأدلة على موته أكثر من الأدلة على أنه لا يزال على قيد الحياة ، ولكن ليس فى كل ما روى عن انتحاره مايقنع أى قاض أو محلف . .

ولقد عنيت ـ عندما دخلت ألمانيا ـ بأن أسأل كل من أقابله ـ سواء من الألمان أو من ممثلى سلطات الاحتلال ـ عن رأيه فى مصير هتلر ومايعتقد عن مقره، وخرجت من أسئلتى بهذه المعلومات التى أدونها هنا . .

* * *

قال لى ضابط أمريكى كبير :

ـــ إننى أعتقد أن الأميرال دونتز كان كاذباً يوم أعلن للعالم أجمع أن هتلر قد مات فى الدفاع الأخير عن برلين . وأعتقد أن كثيرين من الألمان يشاركوننى فى هذا الاعتقاد .

ويقول هير جيسل ، الذى كان يقوم بمهمة الاختزال لهتلر . ان « الفوهرر » أو زعيم ألمانيا طلب فى اللحظات الأخيرة من كايتل وبورمان وجودل وغيرهم من زعماء النازى أن يرحلوا الى جنوب المانيا حيث يلتقون بجورنج ، وأردف إلى ذلك قائلا :

ـــ وسوف يؤلف جورنج حكومة . . وجورنج ـ على اى حال من الأحوال ـ هو خليفتى ! !

فاذا صدق هير جيسل فيما قال كان دونتز كاذباً وإذا صدق جورنج فيما زعمه عند القبض عليه من أن هتلر كان قد أصدر أمراً بقتله، لكان معنى هذا ان هير جيسل كاذب فى دعواه . والعكس صحيح ، وليس هناك شاهد المانى واحد يمكن لأية محكمة من المحاكم ان تصدقه .

الشاهد هرمان كارناو

قال هذا الشاهد وهو من ضباط الحرس الاسود الخاص انه رأى بعينيه جثتى هتلر وايفا براون وقد بللا بالبترول ثم احرقا بعد ان كان الاثنان قد تناولا السم .

ويقول الروس انهم لم يجدوا اى أثر للجثتين ، ولكنهم وجدوا اربع جثث محترقة يرجح ان واحدة منها هى جثة هتلر ، ولكن لا يزال هناك بعض الشك ، هذا الشك عبر عنه الماريشال زوكوف الذى صرح فى يوم ٨ يونيه من عام ١٩٤٥ فقال: « اننا لم نعثر على اية جثة يمكن ان يقال انها جثة هتلر . وربما امكنه الهرب إذ أن المطار كان تحت امره »

طبيبة الأسنان

وهناك شهادة إحدى طبيبات الأسنان وقد اكدت موت هتلر إذ انها عينت بعض عمليات اشتركت فى اجرائها فى عظام فك من فكيه وقد استخرج الروس عظام هذا الفك ، وكان من الغريب ان عظام هذا الفك كانت هى العظام الوحيدة الباقية التى يمكن إجراء أى بحث او اختبار فيها .

ولقد ذكر احد كبار الاخصائيين الانجليز ان جثة هتلر قد أحرقت فعلا فى دار المستشارية فأصبح من المستحيل فى هذه الحالة ان يكون من الممكن التعرف عليها . ولقد بعث الروس بوفد من المحققين الى خرائب دار المستشارية للتنقيب عن آثار هتلر فكانت النتيجة النهائية التى وصلوا إليها — بعد البحث الدقيق — إنه إذا كان هتلر قد مات فانه مما لاشك فيه انه لم يمت فى تلك الدار ، وكذلك ايفا براون لم تمت هناك ! !

ماذا يقول الروس ؟

ويقول الروس في تقرير لهم ان آخر الكلمات التى فاه بها هتلر كانت قوله :

« طالما بقيت على قيد الحياة فانه لن يحدث اى خلاف بين الحلفاء فلقد تحالفوا

هتلر يتحدث الى روميل

فى دار المستشارية

على هلاكى ولكن إذا مت لن يكون فى وسعهم ان يظلوا على اتحادهم .

« يجب ان يختلفوا .. ويجب — عندما يختلفوا — ان اكون انا على قيد الحياة لكى اقود الشعب الألمانى .

« ان أمل ألمانيا فى المستقبل معلق بشرط واحد هو : « ان يعتقد العالم اننى مت »

ولهذا يعتقد الروس ان هتلر لايزال على قيد الحياة ، وانه مختبىء فى مكان ما ، ولهذا فانهم يبحثون بدقة فى كل مكان، وقد صرح بهذا الجنرال جورباتوف فى اول اجتماع صحفى عقد بالمنطقة الروسية فى ألمانيا ونشر خبره فى مختلف الصحف بالمناطق الأخرى .. قال جورباتوف:

« ليس هناك اى دليل قاطع على ان هتلر قد مات ، كما ان الجيش الأحمر كله يعرف انه ليس موجوداً فى اى منطقة من المناطق الخاضعة لروسيا .. »

وذكر جرباتوف انه بلغه ان طبيبة اسنان هتلر قد حملت عظام فك إلى موسكو لكى تثبت أنها عظام فك هتلر ، ولكنه لا يعرف شيئا اكثر من ذلك .

وأكد جرباتوف كذلك ان النازى نشروا روايات مختلفة عن موت هتلر حتى لايشجعوا البحث عنه ، ولكن المصادر التى كذبت خبر موته هى مصادر نازية ايضا . وقد رأت هذه المصادر من مصلحتها ان تنشر خبر بقاء هتلر حيا حتى تشجع حركة المقاومة السرية الألمانية فى المستقبل .

هل مرض هتلر ؟

أما ماقيل من ان هتلر قد مات بسبب المرض وانه اصيب بالسرطان أو الجنون ، وما ذكره هيملر من ان هتلر كان يعذى فى الأيام الأخيرة وانه عندما رآه لآخر مرة عرف أنه قد لا يعيش أكثر من يوم واحد أو يومين ، كل ذلك نقضه الماجور فرايدل ضابط اركان حرب هتلر اذ قال :

« ان هتلر قد مات ، وقد أخفى جسده ، ولكنه لم يكن مريضا ولا مجنونا ، وكل ماهناك انه كان تعبا فى المدة الأخيرة »

من هى ايفا براون ؟!

اذا كانت لغز هتلر لا يزال يحير اوروبا أو العالم كله فانه لغز ايفا براون - تلك المرأة التى قيل أنه هتلر قد تزوجها فى ساعات ألمانيا الاخيرة ثم مات الى جانبها - لغز آخر يحير اوروبا قدر ما يحيرها لغز مصير هتلر !

فمن هى ايفا براون ؟

من هذه الغريبة التى لعبت ذلك الدور فى حياة الرجل الذى أمكنه لمدة تزيد على العشرين عاما أن يخدع العالم ويجعله يعتقد أنه يعيش أعزب طاهرا ؟

لقد سمع العالم عن ايفا براون لأول مرة فى يوم ٤ مايو سنة ١٩٤٥ عندما زار مراسلو الصحف الحربيين التابعين للحلفاء مسكن هتلر الخاص بعد وصول الجيش الأمريكى السابع إلى ميونيخ . كانت هذه (الشقة) تقع فى « ريختستراسى » بالمنزل نمرة ١٦ ، وهناك كان ينزل عندما يزور عاصمة بافاريا ، وهناك كان يلتقى بالصغيرة ايفا براون وهى : « المرأة الوحيدة التى أحبها فى حياته » على حد تعبير بواب المنزل لمراسلى الصحف .

وعرف بعد ذلك أن ايفا براون كانت صديقة هتلر وأمينته منذ عشر سنوات . وقالت ماريا شيفلر ، زوجة بواب المنزل ، لمراسلى الصحف : « إن حبهما المتبادل كان واضحا » . وقالت لهم كذلك ان ايفا براون كانت لها (شقتها) الخاصة فى شارع واسد برجر نمرة ١٢ حيث كانت تعيش أشبه بالسجينة تحت حراسة رجال من الحرس الاسود (حرس هتلر الخاص) . وعندما كان هتلر يزور ميونيخ كانت ايفا براون تنتقل فى الحال الى مسكن شارع ريختستراسى .

وفى صبيحة اليوم التالى كان هتلر يغادر المنزل أولا وبعد خروجه بنصف ساعة تخرج ايفا براون بدورها وتجد سيارة فى انتظارها على بعد نحو ٢٠٠ متر من المنزل. وأحيانا كان « الفوهرر » يذهب لزيارتها بمنزلها فى شارع واسر برجر

وقالت زوجة البواب أيضا :

— وكان لهتلر مسكن آخر فى برختسجادن !

كما ذكرت انه كان من عادة هتلر اطالة مدة اقامته فى ميونيخ ولكنه كان بعد ذلك يتغيب عنها مدة طويلة « وخاصة إذا ما اشتدت الغارات الجوية » . وأكدت المرأة أن هتلر ظهر لأول مرة بالمنزل نمرة ١٦ بشارع ريختستراسى فى عام ١٩٢٩

* * *

ولقد ذكرت مدام شيفلر ، زوجة البواب ، الحقيقة . وجميع الحقائق التى ظهرت فيما بعد أكدت صدق أقوالها .

لقد عرف هتلر ايفا براون فى الوقت الذى كان لا يزال يشعر فيه بشدة الحزن لوفاة ابنة اخته . كان والد ايفا مدرسا ، أما هى فكانت تعمل فى (استديو هوفمان) مصور هتلر الخاص . وكانت فى العشرين من عمرها إذ ذاك . وتدل الصور التى وجدت فى مسكن شارع ريختستراسى وبرختسجادن على أنها امرأة مغرية ، وكانت شقراء تميل إلى رفع شعرها إلى أعلا ، زرقاء العينين ، لطيفة الوجه ، أقرب — شكلا — إلى التمسويات منها إلى الالمانيات . وكانت نحيلة ، جميلة الساقين ، ويقول الذين رأوها فى ميونيخ أن فيها الكثير من « الجاذبية الجنسية » كما أن روحها كانت تميل الى المرح .

وبفضل ما اتخذه الجستابو من احتياطات أصبح لا يمكن الكشف عن كل ما اكتنف علاقة هتلر بايفا براون من أسرار قبل انقضاء ١٢ سنة على الأقل ، ولم يكن هناك من يجرؤ على التحدث عن ايفا براون مدة حكم هتلر ولم تنشر جريدة واحدة صورتها . . . ولم تقم بأى عمل رسمى . وعندما كان هتلر يذهب للاستماع الى أوبرات فاجنر التى كان يحبها لم يكن يسمح لايفا براون بأن تجلس معه . . كان يأذن لها فقط أن تشهد حفلات الاستقبال الخاصة مع « ايمى جورنج » وزوجة جوبلز

ومع ذلك فان ايفا براون لم تكن من النساء اللواتى يملن الى البقاء بالمنزل . ومع انها كانت فتاة بسيطة وعلى قسط ضئيل من العلم إلا انها كانت تحب شراء الفراء

صورة نادرة لايفا براون

الفاخر والفساتين الغالية . . . هذا مع العلم بأن هتلر كان يضيق ذرعا بهذا التبذير وكان ينصح صديقته دائما أن تضع حدا لاسرافها .

ولم يكن يسمح لايفا براون بأن تضع « الاحمر » على شفتيها ، ولا أن تدخن فى حضرة الفوهرر ولكنها إذا خلت الى نفسها أخذت فى تدخين السيجارة تلو السيجارة وقد أيد ذلك أحد أخصاء هتلر

وكانت تذرف الدمع مدرارا إذا اعترض الفوهرر على أن تضع فى قدمها أحذية ذات كعوب عالية أعدت لها خصيصا فى باريس ،فقد كان عليها أن تجعل ذوقها بحيث يتفق مع ذوق هتلر .

وكان هتلر يهديها فى ٦ فبراير من كل عام ـ وهو عيد ميلادها ـ قطعة من الحلى . وكانت تحب الشيكولاتة والمشروبات الروحية الخفيفة والحلوى المنوعة ، وقد وجد لديها الكثير من هـــذه الأشياء ، حتى فى المخبأ الخاص الذى أمر هتلر بتشييده لها على مقربة من دارها

ويقول كامنبرج، حارس هتلر الخاص ، ان هتلر وايفا كانا يقومان بنزهات طويلة فى غابات الصنوبر المحيطة بقصر برختسجادن تصحبهما عدة كلاب بوليسية . أما فى الأمسيات الممطرة فان هتلر وايفا كانا يلعبان الورق على مقربة من النار المشتعلة فى مدفأة المنزل فى حين كان كامنبرج يعزف على الآلة الموسيقية فى البهو الخارجى للمنزل

ولم يكن ذكر السياسة أو الحرب ليعكر صفو هذا الغرام الذى نما فى ظل جبال الألب البافارية ، وكانت المشاجرات الوحيدة التى تنشب بينهما تنسبب عن ميل ايفا براون إلى ارتداء الملابس الشفافة أو إسرافها فى شراب الكحول .

وذكر كامنبرج كذلك أن ايفا رفضت بتاتا أن تخضع لنظام الامتناع عن تناول اللحوم وانها هى التى أمرت بتشييد المطبخ الكبير فى فيلا برختسجادن .

فتاة صغيرة !

ويقول الشهود القلائل الذين تمتعوا بمرأى هذا الحب أن هتلر كان يعامل ايفا دائما معاملة الفتاة الصغيرة فى حين انها كانت هى تدعوه دائما بقولها : « يا زعيمى ! » وتخاطبه بكل احترام وما كانت تسمح لنفسها أن تحدثه باستهتار .

وقد جاء فى بعض مذكراتها التى عثر عليها فى نوفمبر من عام ١٩٤٥ ما يدل على الشكوى والمرارة من البرود الذى تلقاه من «أكبر رجل فى ألمانيا بل فى العالم أجمع»

وتدل هذه الفقرة التى يرجع تاريخها الى فبراير أو مايو من عام ١٩٣٥ على أن العلاقة بين هتلر وايفا براون كانت أقدم عهدا من ذلك التاريخ . كانت ايفا إذ ذاك تشعر بالغيرة من أجل هتلر وكانت تحلم بأن يكون لها منزل فى الريف حتى لا تضطر الى القيام بمهمة فتح الباب فى استديو تصوير هوفمان والترحيب بكل قادم . . . إذ أن زوجة هوفمان ظلت تسخر منها وتعاملها باحتقار إلى ذلك اليوم الذى أصبحت فيه صديقة لهتلر . . ولم يعثر لها على مذكرات أخرى إذ يظهر أن ايفا كفت عن كتابة المذكرات فى الفترة السعيدة من حياتها .

دهشة العالم !

ولا شك أن العالم كله قد أدهشه أن يسمع أن هتلر كانت له عشيقة ، وصعق عند ما سمع بكل هذه التفصيلات، ذلك لأن هتلر كان قد نجح فى ايهام الشعب الالمانى وباقى شعوب الأرض مدة تزيد على العشر سنوات بأنه لاشأن له بالمرأة ! .

وقد ازدادت دهشة العالم عندما أعلن الماريشال جيكوف فى يوم ٩ يونيو ١٩٤٥ أن زواجا قد عقد بين هتلر وايفا براون قبيل سقوط برلين بمدة قصيرة . وبعد يومين اثنين جاء فى برقية من ستوكهلم أن ايفا براون قد رزقت بفتى وفتاة فى أثناء علاقتها الغرامية بهتلر ، وقد أذاع ذلك النبأ « اريك ويسلن » الذى كان ملحقا بمفوضية السويد فى برلين وكان وثيق الاتصال بأركان حرب هتلر مدة الحصار الذى سبق سقوط العاصمة الالمانية .

ابناء هتلر

ويقول ويسلن أن كثيرين من الالمان المطلعين يعتقدون أن ابن هتلر وابنته يعيشان عند أقارب لايفا براون يسكنون فى بافاريا . . . وهو يقول أيضا :

« انهم يعتقدون انه عندما غادر هتلر برلين فى ٨ أو ٩ ابريل من عام ١٩٤٥ لم يفعل الفوهرر ذلك لكى يحضر ايفا براون الى برلين ولكن لكى يودع ابنه وابنته ولكى يودعهما فى مكان أمين . . .

ولقد قضى فى بافاريا ثلاثة أيام فى وقت كانت فيه برلين أحوج ما تكون إلى وجوده فيها ! »

هتلر ... لا يزال حيا !

قال « لا ديسلاس زابو » الذى يعتبر حجة فى تاريخ هتلر :

كلا ! إن هتلر لم يمت بين أنقاض المستشارية ! إن هربه كان فصلا من الفصول الأخيرة من تاريخ حياته ... وقد اقتضى هذا الهرب ان يعد له العدة مدة سنوات طويلة . . .

كان هتلر يعرف منذ البداية أن الكرة الأرضية أضيق من أن تتسع له ومن السخف أن يظن إنسان أنه لم يفكر فى إعداد ملجأ له يشعر فيه بالأمان ...

وليس هناك ما يمنع من الشك فى أنه قد خطر بباله أن يبقى بألمانيا تحت اسم مستعار . إنه كان يعرف أن جراحة الوجه يمكنها أن تأتى بنتائج رائعة ، ولكنها لا يمكن أن تأتى بالمعجزات . وأنه لو بقى بألمانيا فأنه سيقع حتما فى نهاية الأمر فى يد الحلفاء . . .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان هتلر كان فى حاجة دائمة إلى ميدان فسيح للعمل وكما يعلن هو فى وصيته السياسية :

« إن هتلر لم يكن يشعر بأنه هزم ... ولكنه كان يشعر بأنهم خانوه »

وهو متعطش ظامىء للانتقام ولذلك كان لا بد له من أن يعد العدة للعودة والبدء بالعمل من جديد كما حدث له فى عام ١٩٢٣ لما فشل فى حركة الانقلاب المشهورة التى حاول القيام بها إذ ذاك ...

ففى عام ١٩٢٣ تمكن من الهرب ولكن قبض عليه بعد ستة أشهر، لأنه لم يتخذ الاحتياطات الكافية . .

نعم ! لم ينس هتلر هذا الفشل وكان لا بد له فى هذه المرة من محاولة البحث عن ملجأ أمين . وكان يعرف طبعا أن ما ينتظره هذه المرة من مصير يختلف عما لقيه فى حجرة سجنه الأول بمدينة لاند سبرج .

لاشك أن هذه النتائج منطقية... ومن الحق أن يسأل كل قارىء نفسه هذا السؤال :
هل هناك أدلة على أن أدولف هتلر قام باستعدادات لكى يعد لنفسه ملجأ يهرب اليه فى حالة هزيمته ؟

إن الجواب على هذا السؤال : نعم ؟
فهناك أدلة كثيرة على أنه لجأ إلى ذلك واحترس فى هذه المرة ...
ومع أن الاستعدادات جرت فى السر إلا أن هناك أدلة ثابتة لا تقبل الجدل . . منها أدلة مادية وأخرى منطقية

كلمات الاميرال دونتز

ويجب أن نذكر ـ قبل كل شىء ـ أنه فى عام ١٩٤٣ أعلن الأميرال دونتز قائد البحر الألمانى ، أعلن الأميرال للعالم كله ما يأتى :

« إن أسطول الغواصات الألمانى فخور بأنه قد أنشأ للفوهرر جنة أرضية ، هى حصن لا يمكن الوصول اليه ، فى مكان ما على سطح الأرض »

وقد أثار هذا الخبر ، بالطريقة التى أعلن بها ، شيئاً من الدهشة ، ولكنه رغم ذلك لم يثر تعليقاً فى الصحف العالمية

وظن البعض أن الغواصات الألمانية فى تجوالها حول العالم قد عثرت على احدى هذه الجزر المجهولة التى لا يزال الكثيرون يجهلون موقعها بالضبط . ورأى البعض فيما أعلن الأميرال دونتز ايذانا بانهيار العسكرية الألمانية ... ولم يشأ أن يرى فيه أكثر من ذلك ...

ومع كل هذا فان تصريح الأميرال دونتز لم يلبث أن نسى ... ولم يسأله أحد عنه ـ أو عن مدلوله وما وراءه ـ يوم تولى الحكم فى أول يوم من مايو سنة ١٩٤٥ ... ولم يعد أحد يتحدث عن تلك الرسالة التى كان يمكن أن تكشف عن معلومات قيمة تتصل باختفاء هتلر ... لو اهتموا بها واستمرت الأبحاث فيما كانت تعنيه ...

أقول كويسلينج

وفى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ وقف الخائن النرويجى فيدكون كويسلنج . وهو الذى أطلق اسمه فيما بعد على كل خائن لوطنه ـ وقف يدافع عن نفسه فأعلن أنه كان « يعتقد » أنه يحارب فى سبيل قضية عادلة وأنه لم يشأ أن يهرب من المسئولية حتى فى ذلك الوقت الذى عرض عليه فيه النازى . قبيل وقوع الكارثة ، أن يحملوه فى غواصة إلى « مكان أمين »

وقد أعدم كويسلنج رميا بالرصاص ولا يعرف أحد إذا كان لدى الرجل معلومات أكثر مما صرح به فى المحكمة أم أنه لم يحتفظ بسر ما . ولكن المعتقد بوجه عام هو أن الخائن النرويجى لما وجد نهايته قريبة ذكر الحقيقة بأكملها .

روايات الهرب

ولقد تضاربت الروايات فيما يتعلق بالفوهرر . . .

فقد سمعت محطة إذاعة ألمانية تقول : « إن الفوهرر حى يرزق وهو بين أخلص أصدقائه . . . »

ومن المحقق أنه عثر فى ترافموند ببحر البلطيق على طائرة تتسع لثلاثة من الركاب ولكن مخزن وقودها يتسع لكمية لا تقل عن ٣٠ الف جالون من البنزين . . .

وهناك أيضا تلك الغواصة الغريبة التى ظهرت فجأة بالقرب من أمريكا الجنوبية

وحدث أيضا أن قائدا من قواد الأرجنتين خطب فى إحدى المآدب بعد أن تناول الخمر وكان من بين ما جاء فى خطابه :

« إن سرورنا لعظيم لأن أصدقاءنا وصلوا الينا سالمين . . . »

أم ترى هل يعيش هتلر فى مزرعة كبيرة أعدت لاستقباله منذ سنوات عدة فى اقليم بتاجونيا ؟ !

الغـواصة

وليس هناك شك فى أن الغواصة هى الوسيلة الوحيدة التى كان يمكن للفوهرر أن يستخدمها لكى يغادر القارة الأوروبية . لم يكن فى وسعه أن يستقل الطائرة إذ كانت السيادة فى الجو من نصيب الحلفاء كما أنه كان يجب عليه فى هـذه الحالة أن يحسب حساب آلة (الرادار) التى تكشف عن الطائرات فى الجو وتكتشف مواقعها وتساعد المدافع المقاومة على إصابتها .

أما الغواصة فان وسائل تسترها واختفائها كثيرة . ولم يكن من السهل كشفها طالما أنها لا تشترك فى قتال. ومنذ العام الثانى للحرب كان هناك عدد من الغواصات الألمانية يسرح ويمرح فى المحيط الأطلسى وكان فى امكان هذه الغواصات أن تظل بعيدة عن قواعدها مدة عام كامل . كما كان فى امكان كل غواصة منها أن تنزل إلى عمق لا يقل عن ٢٠٠ متر تحت سطح البحر وأن تبحر أسابيع كاملة وهى فى هذه الأعماق دون أن تصعد إلى السطح . وقد شهدت بذلك الأميرالية الانجليزية

كما أن الحلفاء يعرفون أن ألمانيا اخترعت منذ الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) نوعا من الغواصات الضخمة التى يمكنها أن تنقل المواد التجارية ، ومع ذلك فانه لما انتهت هذه الحرب لم يعثر الحلفاء على أى أثر لهذه الغواصات . ألا يمكن أن نفترض أن هذه الغواصات الكبيرة قد لعبت دوراً هاما فى فرار الفوهرر ؟ أليس من الممكن أن تكون هذه الغواصات قد استعملت فى هذا الغرض فقط ؟

معلومات دونتز

إنه من السخف طبعا أن نفترض أن دونتز كان جاهلا بكل ما يتعلق بمشروع الفرار ، فان تنفيذ هذا المشروع كان يقتضى اشتراك عدد كبير من الوحدات البحرية الألمانية وكان من المستحيل تنفيذه دون اخطار واشتراك السلطات البحرية العليا فى ألمانيا .

لاشك إذاً أن دونتز كان يعلم كل شيء إن لم يكن هو نفسه الذى وضع مشروع الهرب كما يدل تصريحه الذى أدلى به فى عام ١٩٤٣ . ولا يجب أن يعتقد أحد أن دونتز لم يكن إلا رجلا من رجال البحر السذج وأن لا شأن له بالسياسة فقد تمكن فى عام ١٩١٧، وهو فى معتقل للاسرى بانجلترا ، أن يتظاهر بالجنون فلما أعيد إلى ألمانيا مع فوج من الجرحى الألمان شفى فى الحال من «جنونه» واستأنف فى الحال خدمته البحرية..

ومن المهم هنا أن نشير إلى ما نشرته الجريدة السويدية المشهورة « ستوكلهم تيدنيجن » فى مقال نشرته فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٢ عن شخصية كارل دونتز إذ جاء به : « إن دونتز يتمتع بثقة هتلر العظيمة وهو يشاهد داخلا وخارجا من مركز القيادة العظمى فى أى وقت ، كما لو كان ابنه »

خليفة هتلر

ويعرف الجميع أنه بعد انهيار ألمانيا خلف هتلر رجل من رجال البحر ولم يخلفه رجل من رجال الحرب أو السياسة ، ولم يفاوض فى شروط التسليم فون ريبنتروب أو فون كيتل ، وانما فاوض فيها الأميرال دونتز ويظهر أنه كان يجب أن يتولى دونتز السلطة فى تلك الأيام الحرجة حتى يضمن نجاح مشروع فرار هتلر . . .

وقد نجح فى مهمته ، وعندما أعلن موت هتلر « ميتة الأبطال » كان يرمى الى ذر الرماد فى العيون . . . وأمكنه فى مفاوضات التسليم أن يكتسب الوقت الكافى لهتلر وزملائه حتى يمكنهم الابتعاد بغواصتهم عن المياه الأوربية التى كانت تهددهم بالخطر !

مستقبل ألمانيا

وبعد ، فان السؤال الذى يردده الناس ، سواء أكان هتلر حياً أم لا . هو : ما مستقبل ألمانيا ؟ وهل يقدر لهذه الدولة الكبيرة أن تنهض من كبوتها وتسترد مكانتها فى أوروبا الوسطى والغربية بعد ما حل بها من هزيمة ؟ ومن العجيب أن هتلر فى كفاحى قال : « ان كل محالفة مع روسيا ستكون النذير بقيام حرب جديدة وستكون نتيجة هذه الحرب فناء المانيا »

وقد تحقق ما قاله هتلر وبقى أن نتساءل : هل يتحقق الجزء الآخر من نبؤته التى سجلناها فى هذا الكتاب إذ قال أن اختفاءه من الميدان هو الذى سيوقع الخلاف بين الشرق والغرب؟!

ولا شك أن بوادر الخلاف قد ظهرت منذ اللحظة الأولى، ولا شك أن الخلاف يتفاقم باستمرار ولا شك أن عدداً كبيراً من الدول قد انحاز - مختارا أم مكرها - إلى روسيا . . . ويتزايد هذا العدد باستمرار مما سبب هلع أمريكا ودول أوروبا الغربية . . .

ولكن هل يؤدى هذا الخلاف فى نهاية الأمر إلى نشوب الحرب ؟ إن الحوادث الخطيرة تتابع بسرعة والألمان يترقبون هذه الحوادث باهتمام بالغ وهم لا يميزون بين مناطق الاحتلال الأربعة وإنما يعرفون حقيقة واحدة هى أن ألمانيا كلها لم يعد مصيرها فى أيدى الألمان . وإنما هى صريعة تحت أقدام المحتل . . وإن حربا تنشب بين الروس والأمريكيين هى المنقذ الوحيد لهم !

وقد بدأ « الغربيون » يفكرون جدياً فى أهمية إعادة بناء المانيا وضرورة قيامها فى أوروبا الوسطى للوقوف فى وجه روسيا حفظا للتوازن الدولى فى القارة .

ولذلك لن يكون غريباً ، إذا استعادت ألمانيا مكانتها السابقة فى وقت يقل كثيراً عما قدره لها أعداؤها من قبل .